



* خدمة المديح

احدى اجمل الصلوات التي تتلى في زمن الصوم الكبير هي خدمة مديح والدة الاله العذراء الفاتقة القداسة ، المعروف بالمديح الذي لا يُجلس فيه. ويقام المديح مساء كل يوم جمعة من اسابيع الصوم الخمسة الاولى. وهو عبارة عن اربعة وعشرين بيتاً او منظومة شعرية. كل بيت يبدأ بحرف من الحروف الابجدية اليونانية بالتسلسل ، اثنا عشر منهما تنتهي بعبارة " أفرحي يا عروساً لا عروس لها" واثنا عشر بـ " هليلويا ". هذه الابيات مقسمة الى اربعة اقسام او ادوار ، يتلى قسم واحد فقط بالتدرج خلال الاسابيع الاربعة الاولى وتعاد جميعها في الاسبوع الخامس. يُتلى هذا المديح ضمن صلاة النوم الصغرى.

يعود هذا المديح الى اوائل القرن السابع الميلادي ويُنسب الى سرجيوس بطريرك القسطنطينية ومنهم من يقول ان كاتبه هو جاورجيوس البيسيدي حافظ اوراق الكنيسة العظمى أي كنيسة الحكمة الالهية في القسطنطينية. تفصيل ذلك انه في زمن الملك هرقل الروماني حوالي عام ٦٢٠ وعندما كان غائبا عن عاصمة الامبراطورية ، القسطنطينية ، زحف الفرس من الشرق والاباريون (الجيورجيون) من الغرب على العاصمة فملأوا خليج القسطنطينية بالسفن والبر بالخيالة والجيوش. وكان اهل القسطنطينية قليلي العدد ولا يملكون وسائل للدفاع

ولم يكن لديهم الامل بالنجاة. اما البطريرك سرجيوس فكان يحث الشعب على الشجاعة ووضع رجائهم على الله وعلى والدة الاله الكلية الطهارة. واخذ يدور مع الشعب فوق اسوار المدينة حاملين ايقونة المسيح وعود الصليب المقدس مع ايقونة والدة الاله وثوب ام الاله المكرم ايضاً. وللوقت ثارت عاصفة هوجاء حطمت كل سفن المهاجمين البرابرة امام كنيسة والدة الاله التي في فلاشرنس على خليج القسطنطينية. ولما رأى الشعب ما حدث خرجوا وقضوا على ما تبقى من الجند المهاجمين. وللحين بعدما تحققوا من النعمة الممنوحة لهم من والدة الاله اجتمعوا في كنيسة والدة الاله ورتلوا لها طوال الليل ، بما أنها سهرت على خلاصهم وحمتهم من هجمة الاعداء ، تسبحة شكر هي المديح الذي لا يُجلس فيه والذي نرتله نحن خلال الصوم.

اما الترنيمة المعروفة جداً لدينا " ان انا عبدك (مدينتك) يا والدة الاله... " والتي

يوم نجاة القسطنطينية ، فيرجح ان كاتبها هو القديس رومانوس المرنم (+ ٥٥٦) الذي ولد في حمص او اخر القرن الخامس وكان شماساً في كنيسة بيروت وبعدها انتقل الى القسطنطينية.

فحوى هذه الابيات التسببعية يعبر عن اهمية والدة الاله مريم العذراء ، في تاريخ الخلاص البشري. عبرها حصل الخلاص للبشر بتجسد المخلص منها : " افرحي يا بطن التجسد الالهي ... افرحي يا من بها تضحل اللعنة ... افرحي يا استعادة ادم الساقط ، افرحي يا نجاة حواء من البكاء والنحيب". هي الباب السماوي الذي منه ندخل الى السماء ، وهي السلم والجسر الذي ينقل الذين على الارض الى السماء. هي اناة حكمة الله ، من اظهرت الصيادين عميقي الحكمة." افرحي يا ميناء سباحي العمر الذين يؤثرون الخلاص".

من يتأمل ابيات المديح يرَ خطوط سر التجسد الالهي واضحة : بشارة الملاك (البيت الاول ، جواب البتول وقبولها النعمة وجواب الملاك (البيت ٢ و٣ و٤) ، زيارة مريم لالصابات

(البيت ٥) انذهال يوسف من حبل مريم (البيت ٦) ، مجيء الرعاة والمجوس وسجودهم للاله المولود (البيت ٧ و٨ و٩ و١٠) ، سمعان الشيخ وادخال الطفل الى الهيكل (البيت ١٢) ، الرحلة الى مصر (البيت ١١) والابيات الباقية توضح لنا الخلاص الذي حصل بمريم الذي يلخصه البيت ٢٢ " لما اراد موفي ديون البشر ان يمنح نعمة بترك الديون القديمة حضر بذاته الى الذين ابعدوا عن نعمته فمزق الصك المكتوب باليد فسمع من الكل هكذا : "هلليلويا".

اليوم نحن نمدح والدة الاله لتكون شفيعتنا وحارستنا ونصرتنا في حربنا مع الاعداء غير المنظورين ، الشرير الذي يحاول دوما ان يوقع بنا. فبشفاعة والدة الاله اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.